قصة

شهامة

بقلم الاستاذ حسن الجواهري

كثيرون هم الذين يعرفون الحاج (ن) سواءاً كانوا نجفيين اوغير نجفيين يعرفونه شهما شجاعا كريماً حيياً وجسوراً مقداما . تعرض هذا الرجل لخير الحياة وشرها وامنها وخوفها حتى صهرته الخبرة وهذبته التجربة فصار اجتماعياً من الطراز الاول خفيف الظل رشيق الحركة حلو الدعابة لطيف المعشر يغشى المجتمعات النجفية على اختلاف طبقاتها وتباين منازلها فيفسح له فيها عن حب وتقدير وله اسلوب في الحديث رائع مقبول تصغي الآذان اليه برغبة وشوق وتتفتح النفوس له بلهفة والحاح وللحاج « ن » هذا بدن ضخم وعضلات شديدة قوية ووجه مستدير مشرق وعينان عسليتان يتدفق فيها ذكاء نادر وفطنة عجيبة ووداعة حبيبة الى النفوس . وقد ضمني واياه ذات يوم ناد لطيف جرت فيه احاديث البطولة وقصص النجدة وكل ذكر حكايته وقص قصته حتى جاء دور الحاج « ن » فتهيأ للحديث وقدلمعت في عينيه ومضات العزم ورقصت على شفتيه ابتسامة النصر ثم بدأ في الحديث اذقال :

خرجنا في سيارة صغيرة ذات يوم لكي نصطاد الغزال في الصحراء الرملية بين النجف وكربلاء ولما اوغلنا في الطريق اعترضنا فجأة غزال كبير نتبعنا اثره مسرعين ولكنه سلك طرقا ملتوية بالصورة التي تغيب عن انظارنا بين الحين والحين ومازلنا نلاحقه مصرين حتى استوينا على ارض عالية مشرفة على منحدر من الارض قد جنحت فيها سيارة كبيرة تحمل ثلاثين نسمة بينهم نساء واطفال فوقفنا نحدق النظر فيها واذا بنا نسمع بكاءاً وعويلا يذيبان القلوب الامر الذي جعلنا نقترب منها ونشرف عليها واذا رجال من الاعراب بايديهم الخراب والخناجر يحاولون نهب الركاب وسلبهم والاعتداء عليهم ولما كنت حاملا بندقية والدم يغلي في عروقي غليان المرجل سددت اليهم فوهة بندقيتي وقلت لهم دعوا الزوار وتجمعوا في ناحية والا افنيكم جميعاً ولما كانوا عزلا من البنادق امتثلوا امري وجلسوا ناحية وعددهم ثمانية رجال ثم قلت لسائق سيارتي انطلق الى المدينة واجلب لنا سيارة كبيرة عامرة لكي نحمل الزوار فيها الى النجف كما اوصيته ان يخبر مركز الشرطة بذلك فذهب مسرعا وبقينا جميعاً في العراء ننتظر ساعة الفرج وكان الوقت آنذاك ظهراً غير ان الساعات بدأت تمر دون ان نرى اثراً لاية سيارة وكلما يتعالى المساء وتنحدر الشمس الى المغيب يسود القلق ويتحكم الخرف في نفوس الركاب واخيرا غابت الشمس وبدأ الفضاء يدلهم لولا خيوط ضئيلة كان يرمي بها الشفق فيضيء بعض الضوء . وهنا اخذت تسري في جسدي قشعريرة اليأس وتطغى على شعوري ظلمة القنوط ولكنني لم افتر لحظة عن مراقبة اولئك الرجال الذين بدأوا يعدون عدتهم للهرب تحت جنح الظلام ضامرين لي اسوأ الانتقام وللزوار اعنف التعذيب وقبل ان تسود الظلمة ويحلولك الليل فزعت الى عقيدتي استوحي منها العون والفرج وللعقيدة اثرها البليغ في ساعات المحنة وظروف البلاء فوجهت وجهي شطر الامام العظيم الرابض تحت القبة البيضاء التي تحمل النور والهداية لترشد الضال وتهدي الحائر وقلت ما ذنبي حتى اقع في هذا الفخ اني بدافع النخوة والحمية اللتين انتم مصدرهما ورطت نفسي واقتحمت هذا الخطر ، ثم ما ذنب هذه النسوة وهؤلاء الاطفال حتى يكونوا جميعا في قبضة الهلاك انهم زوارك وانت المسؤل عنهم ثم فاضت الدموع من عيني واني لفي ذلك الموقف الرهيب واشباح الليل تكاد تبتلعنا جميعا واذا بصوت سيارة يملأ اجواز الفضاء ولكنه يبعد تارة ويقرب اخرى فعلمت بانها تائهة واذا كانت تائهة فلابد لها من اشارة واية اشارة تجدي نفعاً في الظلام ، تطاير الشرر من عيني وبلغت روحي التراقي وراح الصوت يتلاشى ويضمحل ومن يدري فلعلها غير السيارة المرسلة الينا وعلى اي حال فلابد من اشارة وهنا تفتق ذهني

الفقرة « ٤ » من المادة « ٨٣ » من مشروع قانون الاحوال الشخصية على أن « للقاضي أن يأذن بتجديد مدة الحضانة للصغير اذا تبين ان مصلحته تقضي بذلك ، نرجو ان يصبح هذا المشروع قانوناً حتى ننتهي من مشاكل كثيرة .

النجف : كاظم معله الحمامي